

مقدمة

علم اللغة (Linguistics) أو علم اللغة الحديث Modern Linguistics، يشتمل على فرعين أساسيين هما:
١- علم اللغة العام/ النظري:

٢- علم اللغة التطبيقي:

يعد البعض - علم اللغة العام/ النظري - أهم فروع علم اللغة، ويعرف بأنه: "دراسة نظرية وصفية تحليلية، قائمة على أسس علمية ومناهج عامة، وهو يسعى إلى تطبيقها على دراسة اللغات جميعاً، بصرف النظر عن فصائلها وتصنيفاتها العائلية، للخروج بنظرية لغوية عامة".

ويطلق أحياناً اسم علم اللغة - مجرداً - مع كون المقصود هو علم اللغة العام أو النظري، الذي يشمل ميادين منها: علم اللغة التاريخي، وعلم اللغة المقارن، وعلم اللغة الوصفي، وعلم اللغة الجغرافي، ووققه اللغة، وعلم الأصوات Phonetics، بشقيه النطقي، والسمعي الفيزيائي، وعلم وظائف الأصوات/الفونولوجيا: Phonology وعلم الصرف، وعلم النحو، وعلم الدلالة، وعلم المعاجم، وعلم اللغة التداولي.

يهتم هذا العلم (علم اللغة التطبيقي) بتطبيق ما تم التوصل إليه من كشوف علمية لغوية؛ من خلال الجهود التي يقوم بها العلماء في سياق علم اللغة النظري، وبعبارة أخرى؛ هو: الجانب التطبيقي من علم اللغة؛ وهو يخدم عمليتي التعلم والتعليم، ويتخذ منهما ومن مشكلاتهما مجالاً لدراساته، ويقتصر هذا المفهوم على مجال تعلم وتعليم اللغات.

نشأته

تتفق أغلب المصادر على أن نشأة هذا العلم كانت في منتصف القرن العشرين، ويرى براون: أن بدايات هذا العلم بدأت بالانسجام التام الذي حدث ما بين النموذج الذي ابتكره (تشارلز سي فريز Charles C. Fries) في كتابه المشهور: **بنية اللغة والتطبيقات** التي قامت على هذا النموذج، إذ قدم تشارلز سي فريز طريقة لتدريس النحو تعتمد على ملء الخانات، قسم فيها الجمل الإنجليزية إلى **نمطين أساسيين** يشتمل كل نمط منهما على عدد من الخانات؛ تحددتها المواضع والعلاقات القائمة بين كل خانة وأخرى في النمط الواحد، وكل خانة منها يمكن أن تملأ بقسم معين من الكلمات

الوظيفية، وهذه الأقسام الأربعة الرئيسية؛ هي: الاسم والصفة والفعل والظرف، على حين تشتمل الكلمات الوظيفية على ما تعرفه بالأدوات، والأفعال المساعدة، وأدوات النفي، والروابط، وحروف الجر وغيرها، حيث اكتسبت هذه التطبيقات - بمجيء الخمسينيات والستينيات - وضعاً مميزاً إلى أن قامت الثورة اللغوية إثر ظهور ما عرف بعد ذلك بعلم اللغة التوليدي، حيث عدت النظرية التوليدية قابلة للتطبيق.

أما الراجحي فيرى أن علم اللغة التطبيقي قد ظهر بوصفه علماً مستقلاً بذاته في العام ١٩٦٤ م، وذلك حين صار موضوعاً مستقلاً في معهد تعليم اللغة الإنجليزية - لغة أجنبية - بجامعة ميتشغان، تحت إشراف العالمين اللغويين (تشارلز سي فريز Charles C. Fries و روبرت لادو Robert Lado)، وأن هذا المعهد أخرج بعدها مجلته المسماة بمجلة علم اللغة التطبيقي: Journal of Applied Linguistics، لتؤسس بعدها مدرسة علم اللغة التطبيقي: School of Applied Linguistics في جامعة إدنبره عام ١٩٥٨ م، التي تعتبر من أشهر الجامعات تخصصاً في هذا المجال، وهي تحمل مقررًا مختصاً بهذا العلم يحمل اسمها.

أما فيما يخص اشتغال العرب والمسلمين به، "نرى أن اللغويين العرب القدامى هم آباء هذا العلم بحق ورواده، فلقد تناولوا موضوعات هذا العلم بالدراسة والبحث والتفصيل منذ القرن الثاني الهجري تقريباً.

ومن الموضوعات التي تناولوها ما يلي: علم اللغة التقابلي، والأخطاء اللغوية، وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، والترجمة، والمفردات الشائعة، والنحو التعليمي، وغير ذلك من الموضوعات. وأول كتاب ظهر في مجال تحليل الأخطاء؛ هو كتاب: 'ما تلحن فيه العامة' للكسائي، المتوفى سنة ١٨٩ هـ. ويُعد هذا الكتاب باكورة الأعمال اللغوية التطبيقية في اللغة العربية. وليس كما يقال بأن مؤسس هذا العلم هو: العالم اللغوي الأمريكي الفرنسي الأصل: (كوردنر Corder) في كتاباته عن تحليل الأخطاء".

أهم مجالات علم اللغة التطبيقي

هناك مجالات كثيرة لعلم اللغة التطبيقي، ولكن ميدان تعليم اللغات هو أهم ميادين علم اللغة التطبيقي وأبرزها، وبخاصة ميدان تعليم اللغات الأجنبية، الذي يندرج تحته عدد من الفروع، منها: طرائق تدريس اللغات، وإعداد المناهج، والمقررات، وتأليف الكتب،

وإعداد المواد التعليمية، واختبارات اللغة، ومختبرات اللغة، والتحليل التقابلي، وتحليل الأخطاء.

ومع كثرة هذه العلوم التي يعنى بها علم اللغة التطبيقي، إلا أن كثيراً من المشتغلين بهذا المجال يرون أن مجال تعليم اللغات هو أبرز اهتماماته، وأن مجال تعليم اللغات الأجنبية والثانية هو الأبرز فيه، حتى إن بعض المعارضين لتسميته بهذا الإسم يدعون إلى تسميته بالدراسة العلمية لتعليم اللغة الأجنبية ومنهم (ولكنز Wilkins)، وعلم اللغة التعليمي، الذي دعا إليه (سبولسكي Spolsky).

كما أن أغلب العلوم التي يعدها البعض من صميم اختصاص علم اللغة التطبيقي، قد اتجهت إلى الاستقلالية، ومن ذلك علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics وعلم اللغة النفسي Psycholinguistics.

أهدافه

علم اللغة التطبيقي يعنى بالجانب التطبيقي من اللغة، سواء أكان التطبيق تعليمياً، وهو الغالب، أم غير ذلك - وهو قليل - ويركز بشكل خاص على اكتساب اللغات الأجنبية وأساليب تعلمها وتعليمها، كما يعنى بدراسة المشكلات ذات العلاقة باللغة وبالعلوم المرتبطة بها، ويبحث عن حلول عملية لهذه المشكلات، ومن أمثلة المشكلات ذات العلاقة باللغة: صناعة المعاجم، والترجمة، وعلاج النطق.

مصطلحاته

علم اللغة النفسي: هو العلم الذي يعنى بدراسة اكتساب اللغة عند الأطفال بوجه خاص والكبار بوجه عام، والعوامل المؤثرة في ذلك بيولوجية كانت أو نفسية أو اجتماعية أو غيرها، كما يبحث في تعلم اللغات الأجنبية والعوامل المؤثرة في ذلك، كما يعنى بدراسة أمراض وعيوب النطق والكلام وغير ذلك من القضايا.

علم اللغة الاجتماعي: ويعنى بتأثير المجتمع على اللغة واللغة على المجتمع، كما يدرس اللهجات اللغوية المختلفة، والازدواج اللغوي ويهتم أيضاً بدراسة موت اللغات وإحيائها وبالتخطيط اللغوي الذي يعالج قضايا لغوية مهمة مثل تقرير نظام الكتابة في الأمة، واختيار اللغة الرسمية للدولة، وأساليب المحافظة عليها وتطويرها، كما يهتم بالسياسة اللغوية للدولة وغير ذلك من الأمور.

علم اللغة الحاسوبي: وهو الفرع الذي يهتم بدراسة اللغة لتطوير المادة اللغوية للحاسوب والاستفادة من الحاسوب في الدراسات اللغوية، ومن أبرز مجالات هذا العلم الترجمة الفورية الآلية وتخزين المعلومات واستعادتها من ذاكرة الجهاز الحاسوبي.

صناعة المعاجم: ويهتم بالأمر المتعلقة بإعداد المعاجم أحادية اللغة؛ مثل: المعجم الوسيط، العين، لسان العرب، مختار الصحاح، وثنائية اللغة؛ مثل: (عربي - إنكليزي أو إنكليزي - عربي، أو عربي - ألماني، أو ألماني - عربي) أو متعدده اللغات؛ مثل (عربي - فرنسي - إلماني - إنكليزي) بما في ذلك المواد اللغوية جمعها وترتيبها وتنظيمها وعرضها بشكل متقن.

تعليم اللغات: يهتم بكل ما له صلة بتعليم اللغات من أمور تربوية واجتماعية ونفسية وعملية بما في ذلك الوسائل التعليمية وطرائق التعليم المختلفة والتقنيات الحديثة والاتجاهات المتعددة.

تصميم الاختبارات اللغوية: ويهتم بتصميم اختبارات اللغة القومية أو اللغة الأجنبية، وتطوير أساليبها لتحسين نوعية الاختبارات من حيث محتوى المادة والناحية العلمية للوصول بها إلى درجة ممكنة من الصدق والثبات والتمييز وسهولة النطق.

المنهج (Curriculum) هو وصف عام لما يقدم في مقرر ما أو مجموعة مقررات، وأسلوب تنفيذها، ومتابعة تطويرها. وينبغي أن يشتمل المنهج على الأهداف، والمحتوى، والأنشطة، والمصادر، ووسائل التقويم لجميع الخبرات التعليمية؛ التي تخطط للتلاميذ داخل المدرسة وخارجها، وفي المجتمع من خلال التوجيهات المدرسية، والبرامج المتعلقة بها.

البرنامج التعليمي (Syllabus) فهو مجموعة من النقاط اللغوية سواء أكانت مقررات لغوية، أم قواعد نحوية، أم وظائف معينة، أم مختارات للقراءة أو الكتابة أو الحديث، إلخ - أو كل هذه النقاط معاً؟، أو هو وصف لخطة، أي هو جزء من المنهج ولكنه لا يشمل عملية تقويم المنهج

التعلم: هو تغيير في السلوك المكتسب. **التعليم** يهدف إلى إحداث هذا التغيير في السلوك المكتسب. وأنه تيسير التعلم وتوجيهه وتمكين المتعلم منه، وتهيئة الأجواء له.

الاكتساب: يكون للغة الأولى - الأم - بينما يتم التعلم للغة الأجنبية أو الثانية، والاكتساب يكون من وفي داخل البيئة بصورة تلقائية، بينما يكون **التعلم** عملية منظمة داخل حجرات الدراسة، ولعل عملية التعلم وما يصاحبها من إجراءات تنظيمية منضبطة تكون ملازمة لعملية أخرى تسبقها أو تلازمها، هي عملية التعليم،

بينما لا يحتاج الطفل في اكتسابه للغة الأم لهذا الانضباط أو لتلك الإجرائية.

علم اللغة التطبيقي في التراث العربي

ان اللغويين العرب القدامى تحدثوا عن علم اللغة التطبيقي في موسوعاتهم العلمية القيمة منذ اثني عشر قرناً تقريباً، ومن الموضوعات التي تناولوها بالبحث والدراسة مثلاً: تعليم اللغات (التحليل التقابلي، وتحليل الأخطاء)، وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، والترجمة، والمفردات الشائعة، والنحو التعليمي، وغيرها من الموضوعات.

وفيما يلي نوجز هذه الموضوعات:

تعليم اللغات

إن موضوع تعليم اللغات كان معروفاً منذ العصر الجاهلي، ولم يكن من مكتسبات القرن العشرين، ولقد وُجِدَ مَنْ تَعَلَّمَ اللُّغَةَ الثَّانِيَةَ فِي العَصْرِ الجَاهِلِي، وفي العصر الإسلامي، شجّع الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الظاهرة وأمر بتعلم اللغات وخاصة السريانية والعبرية، وذلك عندما أمر زيد بن ثابت بتعلمها ولقد تعلمها في سبعة عشر يوماً.

والعصر العباسي فريد من نوعه، فهو عصر تعلم اللغات بحق، ولقد ترجم اليهود كتب اللغة العربية إلى لغتهم واللغات الأوربية الأخرى في العصر الأندلسي.

أما النحو التعليمي، فإن تيسير تدريسه للناطقين بالعربية وبغيرها مسألة قديمة، شرحها الجاحظ وبيّنها في مؤلفاته. ولقد أكد على أهمية مراعاة سن الطالب وحاجته، وتسهيل المادة العلمية المقدمة إليه، والبعد عن غريب النحو ومسائله الخلافية، التي تزيد صعوبة وتعمقها؛ من غير فائدة تذكر لهؤلاء المتعلمين الذين يُقْبَلُونَ عَلَى تعلم اللغة.

ولقد كانت لابن خلدون الذي يعد من علماء اللسانيات آراء هامة في هذا الموضوع؛ حيث يقول المسدي: فابن خلدون يجهل قَدْرُهُ كثير من الناس، بل إنهم يعرفونه على أنه عالم اجتماع ليس إلا. ولكن هناك من اللسانيين من يجد في المقدمة مخزوناً من الاستطرادات الثرية التي تدل على جملة من الأفكار اللسانية التربوية التي لا تقل أهمية عما توصل إليه البحث اللساني واللساني التطبيقي عند الغربيين.

وترى بعض الدراسات حول هذا الشأن أن للعرب مقولات تربوية مهمة، وأن هذه المقولات يمكن أن تضاهي النظريات التربوية الحديثة باعتبار أن العرب كانوا سابقين إلى كثير من الآراء التربوية المحدثّة، وأنه بالإمكان صوغ نظرية تربوية صالحة لهذا

العصر من خلال المزاجية بين التراث العربي في هذا المجال وبين الأسس والمبادئ التربوية الغربية المحدثّة فيه، كما خلصت بعضها إلى أن المدارس النحوية كان لها إسهام واضح في تعليم العربية، من خلال الكتب التعليمية التي اتخذت منهاج لتعليم العربية ووضعت كتب بغرض تيسير النحو، وأن بعض المحاولات قد أسست منهجاً يقوم على ثلاث مستويات على النحو التالي:

المستوى الابتدائي: ويمثله كتاب (الواضح في النحو) للزبيدي ٣٨٧هـ، ويصفه بأنه بعيد عن النحو والقياس.

المستوى المتوسط: ويمثله كتاب (اللمع) لابن جني ت ٣٩٢هـ، وهو بحسب المصدر يقدم العلة في بعض الأحيان، كأنه يريد مراعاة النضج.

مستوى المتخصصين: ويمثله كتاب سيبويه باعتبار امتلائه بالعلل والأقيسة والافتراضات.

ويورد حاملة رأياً لابن خلدون، يؤكد مضي الفكر التربوي العربي شوطاً مقدراً في بناء نظرية لتعليم اللغة العربية لغير أهلها، ويؤكد على سبقهم في إيراد كثير من الآراء التي بنى عليها الفكر الغربي أطروحاته، فابن خلدون يقرر عدة عوامل باعتبار أن من شأنها المساعدة على تعلم العربية وذلك على النحو التالي:

العامل الأول

التكرار وهو مهم في اكتساب اللغة وفهم تراكيبها ومفرداتها، ويجب أن يتم التكرار في مواقف طبيعية، وفي مواقف حيوية، وأن يبنى على الفهم والإدراك للعلاقات والنتائج وإلا أصبح من دون الفهم مهارة آلية لا تساعد صاحبها على مواجهة المواقف الجديدة. (مبدأ التكرار مبدأ سلوكي ولكن إشارة ابن خلدون هنا للفهم تميزه عن السلوكيين).

العامل الثاني

البيئة الصالحة لتعلم لغة ما، هي البيئة الطبيعية أي الاختلاط بأصحاب تلك اللغة الفصيحة حتى يستقيم اللسان. (وكان ابن خلدون هنا يتحدث بلسان المذهب الطبيعي، وبلسان أصحاب المذهب الاتصالي في تعليم اللغة الذي يعبر عنه رأي كل من مارينا بورت وهايدي دوليه (Marina Burt and Heidy Dulay, ١٩٧٧) اللتين تريان أن البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل تقوم بدور مهم في تعلم اللغة.

العامل الثالث

الاختلاط بالأعاجم يفسد اللغة، لذلك اشترط ابن خلدون أخذ اللغة بالاعتماد على التراث اللغوي والاختلاط بأهل اللغة وكان يقصد العرب الفصحاء. (يعتبر هذا الرأي من الآراء التربوية المهمة التي

يعتد بها اليوم، ويعتبر تعلم اللغة في هذه الحال تعلم لغة ثانية - تعلم اللغة في بيئتها - وهو يختلف عن تعلمها في غير بيئتها - لغة أجنبية - ولكل شروطه، وإن كان مقصد ابن خلدون يمضي إلى أكثر من ذلك، حيث كان يبعث بالمتعلمين إلى البادية بزعم فساد لغة أهل الحضرة).

العامل الرابع

وجوب التقليد والاقتباس في بدايات تعلم اللغة، ثم تأتي مرحلة الاعتماد على ما وعاه وحفظه واستعماله في مواقف جديدة. قارن ذلك مع مبادئ المدرسة السلوكية التي تعتمد مبدئي التكرار والحفظ "التكرار له دور مهم في حدوث التعلم الشرطي، حيث يرتبط المثير الشرطي بالمثير الطبيعي وينتج عن ذلك الاستجابة. إن المحاكاة أو التكرار بني عليه في المجال التطبيقي ما يسمى بتمارين الأنماط "Pattern Drills" وكان الهدف منها تعليم اللغة".

طرائق تعليم اللغة العربية في التراث الإسلامي

لا يمكننا الزعم بأنه توجد طريقة معينة قامت وبنيت على أسس ومبادئ نظرية، لمدرسة فكرية عربية أو إسلامية واحدة. ولكن يمكن الزعم بوجود مذاهب عربية متوارثة تتضح معالمها وتتبين في طرائق تعليم اللغة العربية في كتاتيب وخطاوي تحفيظ القرآن وتعليم العربية، التي انتشرت في العالم الإسلامي، وبخاصة في مصر وبلاد المغرب العربي وبلاد إفريقيا ومنها السودان، وتورد دراسة سحاري: أن عبد الله الطيب - وهو عالم العربية والمتخصص في شرح وتعليم القرآن - يصف طريقة تعليم القرآن لأبناء جيله حينما كانوا صغاراً على النحو الآتي: "... فتلميذ القرآن أولاً يلقن الحروف ثم حركاتها الطويلة والقصيرة، في أنواع الترجم والإيقاع الجماعي (...) ثم يكتب ذلك على الرَّمْل مع التلقين، ثم طور الإملاء والكتابة بعد ذلك" وإن دراسة ساتي: تشير إلى الخطوات المتبعة في تعليم القرآن ببلاد السنغال، والتي تبدأ بتحفيظ الأبجدية الهجائية، ثم إرشاد الدارسين لكيفية تكوين جمل مفيدة عن طريق التمارين المتكررة، ومرحلة تتصل بمخارج الحروف لتحفظهم السور القصار والطوال، وهو بحسب المصدر مشابه لخطة تعليم القرآن الكريم بخطاوي همشكوريب بشريقي السودان، وتتمرحل خطة التعليم بخطاوي همشكوريب على النسق التالي:

يبدأ المعلم بكتابة الحرف على الأرض، ثم ينطق اسم الحرف، يستمع التلميذ ثم يردد، ثم يبدأ برسم الحرف مقلداً معلمه وهكذا حتى يحفظ الحروف جميعها.

في هذه المرحلة يتدرب الدارس على وصل الحروف ببعضها هجائياً - أبتئج/ حخد/...، متبيناً ما يصح اقترانه وما لا يصح اقترانه منها، ووجهات الاقتران.

يجري بعد ذلك تعلم الحركات القصيرة وكتابتها وقراءتها. تأتي بعد ذلك مرحلة كتابة حروف المد وقراءتها، ويبدأ الدارس بصوت الباء مقروناً بألف المدّ، ثمّ الياء، ثمّ الواو.

ثمّ مرحلة كتابة حروف المدّ: با/بي/بو. مرحلة كتابة التنوين: بأ - فتحتان -، ب - كسرتان. مرحلة الحرف المشدّد مصحوباً بالتنوين، ويكتب المعلم الحرف مشدّداً ومنوناً مسبقاً بهمزةٍ ومن خلفه يردد الدارسون "أباً" شد فتحتان، "أبٌ" شد ضمّتان.

مرحلة التراكيب: يملّي المعلم على الدارسين بعض الكلمات: مثال: (أهـ) (قل) ثمّ يرتقى بهم إلى كلمات أكبر (كان) (طال) ثمّ إلى الرباعي والخماسي، ثمّ إلى الجمل القصيرة، ثمّ المتوسطة، ثمّ المركبة أو الطويلة، معتمداً في ذلك على ألفاظ القرآن. وعلى ذلك سارت مبادئ الطريقة الجزئية من الجزء إلى الكل.

مرحلة الكتابة على اللوح: ويبدأ الدارس أولاً بكتابة سورة الفاتحة، وهو يتلقاها مباشرةً من معلمه كلمةً، كلمةً، ثم تأتي مرحلة تصحيح الأخطاء، ثمّ الحفظ والتسميع ويستمر على هذا النسق حتى حفظ سورة البقرة.

يمرّ الدارس بخمس مراحل - مواضع - وكلما مرّ بمرحلة زين لوحه بألوان مختلفة، وهذه المواضع هي (لم يكن) و(تبارك) و(قد سمع) و(يس)، لتبدأ ختمة - دورة حفظ كاملة - ثانية من لدن البقرة إلى الناس، وحين ينتهي من ذلك تبدأ دورة جديدة ويكرم الحافظ تكريماً يليق بعظمة المناسبة.

ومعلوم أن نظام الكتاتيب - الخلاوي - مازال منتشرراً ببلاد السودان ومصر والمغرب، وهو يمثل تمثيلاً حقيقياً، التراث العربي والإسلامي في هذا الشأن.

والناظر لما ورد من وصفٍ لطرائق ومناهج تعليم اللغة العربية في الخلاوي سألفة الذكر، يلاحظ تمكيناً للأسس التربوية والنفسية فيها، وما تزال طريقة تعليم أصوات اللغة العربية على هذا النحو هي الأكثر تأثيراً ونفعاً الآن في قاعات الدرس، ولكن ذلك يكون مع الأخذ بالمستجدات التي جاءت بها الدراسات اللغوية الحديثة، من ضرورة الأخذ بالدراسات التقابلية وتبيين أصوات اللغة الأم ومقارنتها بأصوات اللغة الهدف وعلاج مشكلات الأصوات الغائبة في اللغة الأم، ودراسة صفات ومخارج الأصوات، والعمل بمبدأ الثنائيات الصغرى في عملية تعليم أصوات اللغة الهدف.

